شوكة حزن

© حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: شوكة حزن
تـأليـــــــف: عثمان دهب
القـطـــــع: 21X14
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
سنـة النشـر: 2025
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 1616 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 600 - 5

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

شوكة حزن

شعر

عثمان دهب

إلى أمّي زينب بنت آدم التي خلّفتني قصيدةً دون أن تمس يداها قلماً، وإلى أبي فضل دهب الذي أهداني لغةً أكتب بها دون أن يجيد حفظ حرفٍ واحد من اللغة.

وإهداء خاص إلى جُند الله المحاربين بالأقلام والعدسات: عباس، النائر، أبا حسن حسب الله.

وإلى بذرة مدينتنا الصالحة:
الأستاذة/ سعاد حسين قادم.

السيرة الذاتية

- الاسم: عثمان فضل دهب بركة
- مكان الميلاد:

السودان – ولاية غرب دارفور – الجنينة – أردمتا – أم القرى " أربوكني"

- تاريخ الميلاد: ١٩٩٧
- المراحل التعليمية:

مدرسة أم القرى الأساسية

مدرسة أردمتا الثانوية

مدرسة النجاح الثانوية الخاصة

- الدراسة الجامعية:

جامعة بحري، كلية الزراعة، قسم الآفات وصحة النبات

أنا صبي لا أكتب الشعر ولكن خلفتني أمي قصيدة!

بلادٌ مُغرمةٌ
بكنس الأحلام من صدور حامليها

بلادٌ مُغرمةٌ بذبحِ أبنائها بالسكاكين،
ومُغرمةٌ بحبِّ البارودِ ورائحةِ الدم.
بلادٌ بارعةٌ في نصبِ صواناتِ العزاء،
وإقامةِ مآتمِ البكاءِ في القلوب.
بلادٌ يتساقط فيها الأحبةُ
كما أوراقِ الشجر،
ويذهبون وهجًا بلا ميعاد،
بلا عودة،
يذهبون كما عواصفِ الرياح،
كما الصواعق،
كما الربيع،
كما الأمواج،
كما الرصاص.
تُوجعني هذه البلادُ المُبتَزّة،
تُوجعني حدَّ الغليان،
حدَّ الوجع،

حدَّ الأرق،
حدَّ النواح.
تُوجعني هذه البلادُ التي
علّمتني باكرًا الوقوفَ
في طوابيرِ الموت
وصفوفِ الجنازات.
تُوجعني حقًّا هذه البلادُ التي توزّعُ
لنا رصاصَ الموت،
وقمصانَ الخيبات،
وأحذيةَ اليُتم،
وتذاكرَ الخُذلان،
وسلاسلَ الحزن.

إلى أسعد،
الطفل الذي مات وهو ضاحكٌ لرصاصة موته...

هذا النصُّ مُهدى له:

لروحِكَ السلامُ والمجدُ والخلود،
ولنا يا أسعد،
الهزائمُ، والنعيُ، ومآتمُ البكاءِ،
وعواصفُ الأحزان.
ولهم المشانقُ والموت،
لهم النيرانُ والبنادق،
لهم الخزيُّ والعار.
هم يا أسعد
القتلةُ والسفاحون،
هم السكاكينُ والخناجر،
هم الجبناء، والجبناء حقًّا؛ لأنهم
أفزعهم أن يواجهوك،
فأسقطوا على قلبك وابلاً

من البراميل القاتلة خشيةً منك.
هم الموت يا أسعد،
ونحن الذين لا نبتاعُ
لك سوى الدعوات والنداءات،
وأنت الذي تنامُ هناك
في مرقدكَ الأخير غيرَ مبالٍ
بنداءاتنا.
لقد رحلتَ باكرًا أيّها الفرح،
رحلتَ باكرًا أيّها العيد،
رحلتَ باكرًا أيّها الغيث،
رحلتَ باكرًا أيّها البحر.
رحلتَ ولن تتركَ لنا شيئًا سوى
آثارِ الندوب، ودفاترِ الذكرياتِ
الموجعة.
رحلتَ عاجلًا ولم تتركْ لنا شيئًا
سوى الضحكاتِ والوعودِ
المؤجَّلة، والهزائمِ التي تُلاحقنا.
لقد رحلتَ يا أسعدُ دونما وداعٍ،
دونما رحمة!
لقد كنتَ قبل رحيلكَ
دائمًا الشقيقَ المُوقَّر الذي
لم يسلكْ دربًا

قبل أن نرسمَهُ معًا، ولكن هذه
المرّة أرغموكَ بخيانة
ذلك العهد هُنيهةً.
لقد قتلوك يا أسعد، في وطنٍ
لم يمنحكَ سوى شبرٍ
صغيرٍ في تربةٍ مُلطخةٍ بالدم.
لقد قتلوك قبل أن تُقبّل
خدَّ طفلتكَ، وقبل أن تعانقكَ
أمُّك وهي مُتأهّبةٌ بحفلِ زفافِكَ.
لقد قتلوك هُنيهةً، لكنّك
لم تمت يا أسعد!
هم الموتى فقط،
وأنت حيٌّ لأنك وضعتَ في قلبي باقةً
من الورد، وقمصانًا من حرير،
وأزهارًا من أمل،
وخارطةً لوطنٍ تظلُّ
مُعلقةً على عنقي إلى حينِ مماتي.
أنت حيٌّ في داخلي لأنكَ
وضعتَ في كفّي
سفينةً من الأحلام،
وقبّطانًا محمّلين بالسلاح يجعلونكَ
باقيًا للأبد...

أنت حيٌّ يا أسعد، لأنك الوشّامُ
البارعُ الذي رسمَ على جدرانِ قلبي
مُدنًا شاسعة، وشيدت في دواخلي
بيوتًا من الأفراح، وحكايات
لن يمحُوَ آثارها الزمان.
أنت حيٌّ، أنت لم تَمُت يا أسعد
هم فقط الموتى.

بلاد تُرضِع صغارها من ثدي الحروب

على هامشِ أحد أزقة المدنِ الميتة
والمستباحة، وتحت ركامِ
تلك البيوت،
البيوت المهجورة،
البيوت المهدمة،
والمشرعة الأبواب،
البيوت الخاوية من ضحكات
الأطفال وقُبل الصباحات،
وعناقات الأحبة،
وتمتمات الجدَّات،
وزغاريد العصافير،
ورائحة البخور وشذا
العطور الليلية.
وعلى هامش تلك المحطات
الفارغة من ضجيج المركبات
والباعة...
المحطات الحبلى بدموع
الوداع،
المحطات الحبلى بالأحزان،

المحطات الحبلى بجثث
الغُرباء،
المحطات الحبلى بالحنين.
هُناك، على هامش دفاتر
الذكريات الموجعة، تسألني
طفلة يتيمة تحتضن جثة
عشقيها: من أنت؟ ومن
أي بلاد؟
فأجابها: أنا الحزن
وكل الأحزان،
وأنا من بلاد الموت والموت،
أنا من هذه البلاد
تُقتل فيها الأحلام
باكرًا وهي في صدور حامليها.
أنا من بلاد الجوع،
أنا من بلاد الفقر،
أنا من بلاد الفواجع
والموت المجاني.
أنا من بلاد الظلم،
أنا من بلاد القهر،
أنا من بلاد ترضع صغارها
من ثدي الحروب،

وتطعمهم من فم البندقية.
أنا من بلاد
لم تلدني فيها أمي كما تلد الأمهات،
ولم ترضعني كما
تُرضع الأمهات أيضًا!
أنا من بلاد الموت، والموت
المجاني فقط.

قلبٌ زاخرٌ بالأوجاع

وحيدًا وسط طرقات
البلاد المفروشة بالرصاص
والزاخرة بالجثث
والشحاذين.
وحيدًا في وطن يزود
أبناءه بوجبات دسمة من
البارود والرصاص!
وطن بات مرتعًا للذئاب
الحيوانية والبشرية!
وطن شعبه وجنده يعلقون
أحلامهم بأعناق الجنرالات
وهم منتصبون حالمون
بهدنة قصيرة،
يصافحون فيها أمهاتهم،
يعانقون حبيباتهم
الحائزات على جمرة الشوق
والحالمات بغد أجمل.
وحيدًا في وطن تُحمل
فيه الجثث كما أكوام النفايات

وتوضع في جوف حفر
واسعة ويكوم عليها التراب.
وحيدًا في وطن جائع..
جائع لصوت السلام
كما طفل رضيع.
وحيدًا في وطن
ثمن الإنسان فيه رصاصة
بقيمة خمسمائة جنيه
سوداني!
وحيدًا أبكي،
وحيدًا أصرخ،
وحيدًا أثمل بكثير
من الأحزان،
وحيدًا لا أنثى تشعل
مصباحًا في الليل وتعد
وجبة من الأشواق
تطرق باب قلبي، تنادي
باسمي، وتطعمُني
بيديها الناعمتين،
ومن ثم تحتويني وتقاسمني
كوب الأحزان وتمتص
من جسدي رائحة البارود!

وحيدًا لا ونيس لي سوى قلبي
الزاهر بالأوجاع،
الزاهر بالفقد،
الزاهر بالذكريات،
قلبي المهشم كنافذة
زجاجية، والملتهب
الذي لا يصلح لشيء
سوى القلع من الجذور
والطرح في سلة المهملات!
وحيدًا لا أليف لي سوى
حقيبة سوداء مفعمة
بالأوراق والأقلام
والورود وقلوب فتيات
عابرات يتسللن إلى قلبي
ليلًا كاللصوص
فيضعن قلوبهن
في جوف قلبي،
قلبي التميمة المعلقة
في صدر أنثى أكلت
هذه البلاد أفراحها، فتبقت
لها تلك التميمة وحدها،
معلقة هناك.

إلى هديل الحرب في البلاد

أقبلي أيتها الأفراح السعيدة،
أقبلي أيتها الأعياد الفاتنة،
أقبلي لنتنزّه معًا،
نتنزّه أسفل سماء البلاد المُفعمة
بالدخان، وننشّد موسيقى
الحزن، ونرقصُ مع
لحن البنادق.
أقبلي لنتنزّه ونصافح
الشّوارع الباكية، نكفكف
دموعها عنها، نشطفها
من أثر الدّماء،
نُشيّع الجثث المجهولة
الهوية فيها، نصلي عليها كثيرًا،
نبكي لها كثيرًا
نيابةً عن العاشقات،
ونفشي لها الحداد
نيابةً عن الأمهات.
أقبلي لنعبث مع الصغار
الذين يلهون تحت زخات
المطر!

أقبلي لننتزّه معًا ونتعلّم
كيف تُغرد العصافير
في سماء مُلونة بالبارود،
وكيف تنام النوارس أسفل
سقف البحار الجافة!
وكيف تتفتح الورود
في الصباح
وتذبل في المساء،
كيف يكتب الشّعراء قصائدهم،
وكيف ينتحرون.
أقبلي يا بذرة السلام،
نجلس مع المحاربين
تحت أنقاض
البيوت المهدمة،
وفي جوف الخنادق
المُعبأة بعلب السجائر
والرصاص، نحكي
لهم عن أحلام الموتى،
نقص لهم حكاوي السلام،
نطلعهم على لهفة عشيقاتهم
لرؤيتهم،
ورَهِبة أمهاتهم على أرواحهم،

ومن ثم نرحل معهم مُسرعين،
مفارقين ميادين
المعارك والقتال،
قاصدين حدائق البلاد
العتيقة، نجلس هناك،
نتحرش بالورود،
ننفض غبار البنادق
والبارود،
نغرس شجرة سلام
ظليلة، نرويها من
دموعنا السائلة، تنمو
ونجلس تحتها
جميعًا، نفشي عن
ميلاد عهد
جديد،
ميلاد وطن جديد.
ومن ثم نبكي
للحبيبات والرفاق،
وننشدّ للأمهات أناشيد السلام،
ونُقبلهن كثيرًا،
نختبئ داخل
قلوبهن، وننام طويلاً.

بلادٌ عاريةٌ

يا أيتها البلاد المعبَّأة بالقنابل
واللصوص وجند الله الضالين الطريق..
يا أيتها البلاد الغارقة في محيط الدماء
الصارخةُ.. النائحة،
يا أيتها البلاد التعِيسة،
هل تعرفين عدد القتلى؟
وعدد الأحلام المُختطفة من قبل رياح الحروب العاتية؟
هل تجيدين إحصاء الثكالى
والأرامل واليتامى في هذه
الشهور الحبلى بالأحزان؟
هل تتقنين حياكة أثواب الرثاء
كما تفعل أمّهات الموتى؟
أجيبيني: من أين لكِ
كل هذه القوة لحمل
أثقال هذا الحزن وحدك؟
من أين لكِ هذه الثياب
البراقة التي تسد
حاجة مئات الأرامل
في عدة الأحزان؟

من أين لكِ كل هذه
الخناجر التي تغرسينها
في صدورنا؟
أما آن الأوان لنمزق
الأحزان ونُضمد الجراح،
ونرتدي أثواب الأفراح،
ونرفع راية بيضاء
ونزرع في ساحة
المعارك حدائق الورود؟

ثمرةُ نصرٍ مزيفةٌ

لقد نبش جُند البلاد
حين غفلةٍ من الجنرال
سلاح الحرب الذي
كان يرقد ثلاثين عامًا!
يرقد تحت قرون
من الضغائن،
قرون من الظلمات،
قرون من الثارات،
قرون من الخيانات،
قرون من الاستبداد التي ظلت
عالقةً سنين عجاف
دون عقاب!
لقد نبشوا نُطفة
كانت منسية في
رحم البلاد، فخلفت أُناسًا
أضحوا يجتاحون المدن،
يشعلون الحرائق،
يقتلون بعضهم ويسحقون

جماجم بعض بأعقاب
البنادق والمدافع،
أناسٌ يحطمون القصور،
والجسور،
والمباني السكنية،
يزرعون القنابل في
الطرقات،
في الحدائق،
وفي قلوب المحطات.
يزرعونها ويسقونها
من دمائهم، تنبت وتنمو،
فيحصدونها ثمرة نصرٍ مزيفًا،
يحصدونها وهم جاثون
على جثث رفاقهم وغارقين
في بِرَكٍ طافحة
بدمائهم المنهمرة.

جُنْحَة تأديب

لقد أُخِذتُ، وأنا في ربيعِ
العشرين من عمري، رزقي
الفائض من الحزن داخل
رحم هذا الوطن
المنسي خلف كواليس
مسلسل الحروب اللعينة!
لقد أضحيْتُ كاليتيم فوق
موائد اللئام،
وكالمختل انْتَصَبْتُ
ليلاً واحدًا، أحدق في
كبد السماء الزاخرة بالبارود!
أحدِّقُ بعيون طفلةٍ
تَسكب الدموع أمام صورة
لأبيها طريدة تلك القذيفة
الطائرة، التي أصابت معقل
قلبها الصغير فقطعته إلى أشلاء.
ومن ثم أركُضُ مهرولًا
في الشوارع الملطخة بالدماء،

وأنا متسخ الثياب،
حافي القدمين،
كأطفال الشهوات العابرة
الذين بلا هوية، وبلا وطن،
وبلا حنو أمهات.
أطفالٌ مذَلّون،
مهانون،
منسيون تمامًا هناك
في عتمة ذاكرة الأيام.
لقد ملَّ كلُّ شيء في
الرغبة،
الشغف،
الحب،
وأصابني داءُ البغضاء
لتراب هذا الوطن،
ولكن هذه جريمة
ارتكبتها في حق وطني
وينبغي أن أُعاقبَ عليها،
ولكن من الذي يعاقبني؟
أعيناكِ الصاخبتان،
ابتسامتكِ الشهية
كما قطعة نوتيلا في

يد طفلةٍ مراهقة،
أخُصلات شعرُكِ الطويلة
السوداء،
التي تشبه أحزان هذا الوطن
النائم هناك في جب
البارود، والمغتصب
من قبل أبناءه
المخدوعين والضالين
الطريق.

إلى البنت ريو التي تستلف منها الفراشات مناظرها

إلى ريو، الزهرة التي بزغت
من سلالة وردة جورية،
ويفعت في كنف رجلٍ
باذخ كالجبال.
ريو الحسناء الأكثر صفاءً
ورونقًا في هذا الكوكب،
الحسناء التي رغبت
ذات مرةٍ وأنا منتصب
ومرتاب أمامها،
حين نظرت إلى وجهها
وهو يلبسه الحزن، وتنسكب
من عينيها الوارفتين
دموع غزيرة على قميصي.
رغبت أن تظل
وردة جورية أقطفها
وأدسها بعيدًا عن كل
هذا الخراب.

ريو، الغادة التي يشع
من عينيها الزرقاوين
طيف من الأنوار
يتبعه سرب من النجوم.
ريو، الصبية التي بجوفها
طبيبة تلحف البرّاق،
وشرعية تستجلب
حقوق المقهورين والمنسيين.
ريو، عصفورة السلام
الوافدة من السماء، وهي تخبئ
بين جنحيها رايات براقة!
ريو الحسناء التي أماثلها
كثيرًا، وتماثلني وتماثل
أحلامي السحيقة،
وكأنني خلقت من ضلعها
الأعوج.
ريو، بلدة أحلامي التي
أحمل حقائب أنيني
وأسافر إليها فتفرد أجنحتها،
وتعانقني، ومن ثم تمتلكني
وتشرع مني تمثالَ فرحٍ تُعانقه
كل النساء رديئة الحظ في هذه البلاد.

شوكة الحزن

ها أنا مُعلّقٌ على مشانقِ
هذه البلاد التعيسة،
ومنسيٌّ داخل دفاترِ قلبك
الميتِ بالفقد.
وها أنتِ تنزعين الأشواك
من شرايين قلبي،
وتحصدين كتل الأحزان من
سفينة أيامي،
تقيمين صوانات
الأفراح على بوابات المدن،
ترقشين الورود على هامش
الحدائق والكافيهات،
وتمسحين غبار الذكريات
من نوافذ الغرف المغلقة،
وتغسلينها من آثار الهجران،
وتوزّعين الضحكات،
والقبل والعناقات،
توزّعينها على أطفال الشوارع،
وعلى الثكالى والأيتام،

وتنثرين بذور الأفراح
في جدران القلوب،
القلوب المشحونة بالهزائم،
القلوب الزاخرة بالندوب،
القلوب المهشّمة كما قطع الزجاج.
تنثرينها وتعظّمين شعائر الحب،
تتمسّكين بحبال الأمل،
تنفحين عطركِ المبجّل
وتتوسّدين مدافئ الحنين،
توزّعين مسكّنات
الأنين على عنابر الجراحة
وتقدّمين قلوب الدعوات.
ها أنا أكتب على أمل الحصول
على كبسولةٍ تزيل شيئًا
من ذاك الذي في طيّ قلبي،
ولكنكِ ظللتِ مشغولةً
بحمل رسائل الموتى وتوزيعها
على مأتم البكاء، ومن ثم تخبئينها
تحت جدران البيوت المشرّعة النوافذ،
البيوت الغارقة في بِرَكِ الأحزان.

طفل يتهجد في حضن أمه

لقد كنتُ قبلك فتى
بارًّا اتبع خطوات المصلين
التي تصحبني إلى بيوت
الله، فصنعتِ مني
طفلاً معيبًا يتتبع خطوات
السكارى التي تصحبني
إلى الحانات!
لقد كنتُ قبلَكِ فتى
داهيةً يُحيك أوشحة
من الحرير للنساء الفلاحات
وبائعة الورد، ووشّامًا
بارعًا في وشم الورود
في خدود النساء،
فصنعتِ مني خياطًا
حاذقًا يحيك أوشحة
لرثائك فقط،
لقد صنعتِ مني وشامًا
خائبًا ينتظر فرصةً
وحيدةً لنمشي وردةً

على خدك.
لقد صنعتِ مني طفلاً
أحمقًا لا يعرف ماذا يبتغي؟
طفلاً متربّعًا يغني وحده
في الظلام، ويتهجد في
حضن أمه، البقعة الأكثر
سكينةً في الكون،
فيرمق أشباحًا ويشعر
بالفزع.
لقد كنتُ قبلك صبيًّا يافعًا
فصنعتِ مني طفلاً
لدنًا كبتلات الأزهار...
طفلًا عليلًا قابلاً للانفصام
ومخفقًا في كل ملاحم الحياة...
لقد تركتِ ندوبًا في.. لم تستطع
ملايين من النساء وعوامل
الزمان محوها.

ذكرى لظلّ قديم

مجدّدًا أكتب إليكِ وأنا مجرد
رصاصة عالقة في جسد طفل
رضيع!
أكتب إليكِ وأنا جثةٌ هامدةٌ
ومنسية على هامش أزقة
المدن التعيسة!
أكتب إليكِ يا حبيبتي،
وأنا مجرد عيلٍ يتيم
شاحب الوجه،
غائب الملامح،
متسائل الطرقات
ومنسيّ تحت ركام
البيوت المهجورة!
أكتب إليكِ وروحي مفعمة
بالشوق
وبالقبل
والعناقات الطويلة!
أكتب إليكِ يا عزيزتي؛
لأن قلمي أقوى بكثير

من أن تحرقه شرارة عابرة،
ولأني محبرة من صنع
يديكِ محال أن تجفّ،
محال أن تجف وأنا متربع
على عرش قلبك.
سأكتب عنكِ وعن الخراب،
والنزوح،
والموت،
الشوق،
الفراق،
ودموع الأمهات.
سأكتب عنكِ ولن يهزمني
صوت البنادق
ودوي الطائرات!
سأكتب عنكِ وعن هذه
اللعبة الخاسرة!
لعبة الحرب التي نزفنا فيها ذات صباح،
ونحن مرتدون وشاح
النصر، لأنها ليست سوى ستار
سيأتي يوم ما..
ونكشف ذاك الستار
المزيّف ونعود إلى الوطن

والحبيبات،
والرفاق.
نعود إلى ساحات الغناء،
والرقص الشعبي،
إلى الحدائق،
وأروقة الجامعات،
إلى الكافيهات،
وفوضى الحواس التي نمارس فيها.

صبيٌّ رديء الحظ

لقد خلفتني أميّ
عيلًا رديء الحظ،
أضع كُومة
أحزاني في جوف
حقيبتي السوداء
الزاخرة بالأشياء التالفة:
كالروشتات الطبية،
والأدوية المنتهية الصلاحية،
وقصاصات من الورق التي
وضعتها نساء مجهولات الهوية.
أنا عيّل رديء الحظ حين
خلّفتني أمي، كُتبَ على كفي
بمحبرة من الحزن هذا عيّل
لا يصلح لشيءٍ في
هذه الحياة سوى
للنحيب على الورق،
والغفو على وسادةٍ مغموسة
في دموع أنثى عابرة!
لقد حدثتني أمي القصيدة

ذات يوم أن قلبي،
عقلي،
لساني، مظهري،
شعر رأسي المنكوش،
مزاجي المتقلب،
تفاصيل حياتي، أحزاني
وأفراحي المتعاقبة جميعها أشياء لا تخصني.

حُلم يغوص بأبعاد ثلاثية المدى

كُنا ما قبل بزوغ شمس
الخامس عشر من أبريل:
أنا وأنتِ والحبيبة،
والوطن.
نبسط الورق والورد
في شوارع المدن الفسيحة،
ننثر للعصافير حبيباتٍ من الغلة،
ونجتاز شواطئ البحار
ونحن نغني:
"نهواك يا وطنًا بأرضك ونيلك".
ولكن، ما الذي نشب يا عزيزتي بعد؟
لقد استفقنا في صباح يومٍ تعيسٍ،
يا شريكي!
يومٍ لم تشرق شمس البلاد
بعده حتى الآن..
استفقنا وكأننا في حلمٍ
يغوص بأبعادٍ ثلاثية المدى.
حلمٌ نشم فيه رائحة الدماء،
ونسمع عزاء الأعزاء.

حلمٌ نفطن فيه إلى رعب الموقف
وظلم الأبرياء،
ونتذوق مرارة الفقد،
ثم ننظر إلى غُربتنا القسرية.
نصحو على ألم الوطن،
وآثار النُعاس تمنعنا
من مدّ يد العون
وتضميد جراح ذاك الوطن!
شريكتي:
أظنه ليس حلمًا،
إنما مسلسل حربٍ لعينةٍ
استفقنا على فاصلِهِ الأخير؛
فوجدنا المُدن نائمة
في أحضان الجند،
الفراشات ذابلةً تحت رماد الحدائق،
العصافير تنزف
على أغصان أشجار الزيتونة
المشتعلة بالحرائق،
الحبيبات نائمات
على جدران القبور.
استفقنا يائسين تمامًا،
لم نجد من يواسينا،

فصرنا دموعًا تُذرف
داخل مستطيلٍ ورقيٍّ ناصع البياض.
شريكي،
أظننا تجاوزنا مرحلة
ذرف الدموع والدفاع،
ولم نعد نبالي بالهجوم.
وحتى الوسط لم يعد يهم
إن كان فارغًا.
لم يعد مهمًا لتلك الشباك الحارس
وهو يقف عند الزوايا مشيرًا بكفه:
"أهلا بهدف خسارتي".
لقد تعبنا يا عزيزي،
وبتنا لا نود شيئًا.
والآن، لا يهم إن خسرنا أو ربحنا،
فقط نود أن نرتاح يا شريك.

فضيحة

أفزع أن أبوح لكِ
بالذي في طَيّ قلبي،
فأسقط قتيلاً،
وأنا أسير نظرات الدهشة
من عينيكِ الواسعتين.
وأفزع أن أحدثكِ عن مدينة أحلامنا،
وعن طفلةٍ تزورني في قلب الليل،
فتنزل بسريري،
وتُلقي بظرفٍ ورقيٍّ
بجوفه قصاصة ورقٍ حمراء،
ومن ثم تغرب مُسرعةً
دون كلمة وداع،
مخلفةٍ عَبِير عطركِ الطفيف.
أتدرين يا حمامة،
في كل لقاء أدنو منكِ،
تَراودني رغبة ضمكِ،
ومداعبة أصابع يدكِ الناعمة،
وخصلات شعرك.
ولكني أفزع أن يفضحني شوقي إليكِ،

ويوقع بي قتيلاً
على صدرك الحنون.
فأصرع وأغدو فضيحة.
أفزع أن أقول كلمة "أحبك"،
وأخسرك للأبد.
وأفزع أن لا أقولها،
فيصيبك الملل،
وتفارقين عالمي،
لأموت أنا.
ولماذا تفزع من الفضيحة،
وأنا بتُّ فضيحتك منذُ أن عرفتك؟
فضيحةٌ في نصوصك،
وأمام رفقتك.
فضيحةٌ في المقاهي التي تجمعنا،
فضيحةٌ داخل دفاترك المليئة باسمي،
فضيحةٌ في قصصك التي لم تُصدَر بعد.
أيوجد فضيحةٌ أكثر من هذا؟
أم أنك تخدعني بلغتك هذه؟
هكذا هُمُ الشعراء،
الأدباء، والكُتاب:
يجيدون الفضيحة والخداع،
في مُداعبة الخصلات

داخل أروقة الورق.
يجيدون الخداع في تقبيل
خدود النساء،
يجيدون الخداع في العناقات،
يجيدون الخداع في السفر
إلى المقاهي والمدن البعيدة،
يجيدون الكذب في رسم القُبل
المزيفة على نساءٍ
لم يتعرفوا عليهن بعد.

تميمةٌ عُلِّقت بجدران قلبي

كتميمةِ جدةٍ،
عُلّقت بحبلٍ متينٍ
على عنق طفلها خوفًا من الضياع،
عُلّقت بجدران قلبي!
قلبي، البالونة التي لا تصلحُ للحبّ.
تقولين لي:
"خذ سكينًا، وقصَّ ذاك الحبل المتين،
وألقِ به في سلّة المُهملات."
أقول لكِ:
لقد حاولتُ مرارًا أن أقطع وصال ذلك الحبل،
ولكني أخشى عليكِ من الضياع
في هذا العالم الذي لا يشبهكِ...
أخشى عليكِ من عقل رجل
لا يعرف كيف يُغنيكِ،
كيف يرسمكِ،
وكيف يكتبكِ.
أخشى عليكِ أن تجلسي
وتُسدّلي ضفائر شعركِ البنية،
تسدّليها تحت سقف غرفةٍ
تقع في أقصى مدن البلاد.

غرفةٍ خاليةٍ من رائحة الحبر،
والورق،
والورد الذي تعشقين.
تنامين في حضن رجل،
مُحدّثةً إياه عن "سلسلة أماريتا"،
عن "أحداث قصة ألكس ميكايليديس"،
عن "أرض السافلين"،
عن "الأبلة" و"الشياطين"،
عن "الجريمة والعقاب"،
عن شيء اسمه الحبّ،
عن أسطورة الحب الأول.
فيصمت قليلاً...
ثم يصفعكِ على وجهكِ،
ويطلب منكِ الاستعاذة،
ظنًّا منه أنكِ مصابة بنوعٍ من الجنون!
أخشى عليكِ، عزيزتي،
من رجل لا يجعل منكِ تمثالًا ورقيًّا
يكون ونيسًا لكِ في عتمة الليالي،
لأنكِ أنثى خُلقتِ للتمثال فقط.

لذّةُ عَويل

إنها الساعة الثالثة صباحًا
بتوقيت مدينتنا
المحتلة من قِبل جنود
يقطنون خلف رموش عينيكِ!
يُوقظني من نومي صوتُ
طفلةٍ مختنقةٍ تحت وسادةٍ،
غارقةٍ في بركة من الدموع،
تُنادي عليّ باسمي:
"أنقذوني... أنقذوني!"
أقوم مهرولًا،
أركض مسرعًا في شوارع المدينة،
أتتبع ذبذبات ذاك الصوت الغريب،
ذاك الذي يطلب النجاة مني.
يرهقني الركض،
يصيبني اليأس،
وبينما أنا في طريقي إلى العودة،
يوقفني ذاك الصوت مجددًا...
يوقفني أمام بوابة منزل
يقع منتصف قاع المدينة،

تفوح منه رائحةُ عطرٍ
ليست غريبة عنّي.
إنها رائحة عطركِ، سيدتي!
أطرق باب ذاك المنزل
تسعًا وتسعين طرقة،
دون أن أضع حسابًا
لما يقوله الناس عني.
وفي الطرقة رقم مائة،
تخرجين...
ترتدين بيجامة بيضاء
كبياض وجهكِ،
ناعسةَ الوجه والعينين،
منكوشة الضفائر.
تقفين حائرةً أمامي،
يداكِ ترتجفان،
دقات قلبكِ تلامس
دقات قلبي.
تُحدّقين في وجهي بعينين داهشتين،
ثم تسألينني بصوت شجي:
"ما الذي حلّ بكَ أيها الصبي؟"
فأجيبكِ متلعثمًا:
"لقد سمعتُ نداء صوتكِ،

وأنتِ تشهقين تحت وسادتكِ،
وتطلبين النجاة مني!
فراودتني رغبتان:
أولهما: رغبة إنقاذكِ،
والبكاء داخل حضنكِ الدافئ،
تحت وسادتكِ الغارقة
في بحر من الدموع.
ثانيهما: القبض على أصابع يديكِ،
والخروج معكِ في هذا التوقيت
المتأخر من الليل.
نركض معًا في شوارع البلاد اليائسة،
ثم نذهب إلى أحد الأماكن المنسية،
الخالية من البشر وأفلام رعب العسكر،
وننام هناك... للأبد."

صرخةٌ حسناء

على بوابة تلك المدينة
التقينا، وكنت حينها مجرد
صبي عاقٍ يجثو
على مقعد خشبي، ينفث
دخان السجائر،
يغني للوطن، للأمهات،
للحبيبات،
ويحيك أثوابًا من الرثاء
للراحلين باكرًا.
كنت أصمم لوحاتٍ لمئات النساء،
قدّمن قلوبهن لي
هديةً في قوالب من حلاوة،
فسقطن ضحايا
لسُم قلبي الفاسد.
بينما أنتِ، يا حبيبتي، كنتِ
مجرد عصفورة مراهقة،
تمشطين ضفائر شعركِ البنية،
وترقشين الورد
على أناملكِ الناعمة.

تحصدين النساء من جوف قلبي،
تحضرين وجبة من الأشواق
وأخرى من الأحزان،
ثم تصنعين مني
فتىً لدنًا،
يغني لكِ وحدك،
يكتب لكِ وحدك.

لذة فراق

قبل بزوغ شمس أبريل الحزينة،
وقبل أن يدق جنرالات البلاد
طبول الحرب، كان عليّ أن أدسكِ
داخل قلب أمّي،
بعيدًا عن صوت الرصاص،
بعيدًا عن رائحة البارود،
بعيدًا عن أفلام رعب العسكر.
ومن ثم أحدثكِ كثيرًا
عن الحروب،
عن الموت،
عن الغياب،
عن لذة الفراق، الجوع،
الفقر وأخلاق البشر في الحروب.
أحدثكِ عن طعم القهوة،
لغة العصافير،
ألوان الفراشات،
أطفال الأزقة،
نساء الحانات،
أحلام الصغار،
نعومة يديكِ،

جمال عينيكِ،
سواد شعركِ،
رائحة الورد العابقة منكِ.
كان عليّ أن أدسكِ بعيدًا،
وأحدثكِ عن ليالي نوفمبر الباردة،
عن صباحات ديسمبر الدافئة،
المليئة بذكريات حنين،
عن هتافات الثوار القديمة،
ومعانقة الأحلام الضائعة.
كان عليّ أن أحدثكِ
عن طفلة نرجسية
أحبتني كثيرًا،
أطعمتني الكثير
من القبل والعناقات الطويلة.
لكني، كعادتي، فتى سيئ،
قلبي لا يصلح للحب.
ارتبكت خيانتي الأولى لها
عندما كتبتُها قصيدة شعرية
عارية من ثياب اللغة.
كان عليّ أن أقبلكِ وأضمكِ كثيرًا،
وأخبئكِ بعيدًا عن عالمنا هذا.
ولكني أظن أني فعلتها جيدًا.

نشوة لقاء

في مكانٍ ما بعيدًا عن رائحةِ
الموت والبارود
وخبثِ الساسة وآكلي لحومِ البشر،
بعيدًا عن سماعِ صخبِ
الطائرات التي تقضي
على الأخضرِ واليابس،
بعيدًا عن بؤسِ كلِّ هذا العالم،
تعالي حبيبتي،
نجلسُ على حافةِ مقعدٍ خشبي
في مقهى قديم
وتحت ظلِّ شجيرةِ لارنجةٍ
باسقةٍ بالثمار،
أصابع يدي تُداعب خصلاتِ شعركِ،
بينما أصابعُ يديكِ تُعدُّ قهوةً
بطعمِ الحبِّ، هانِ العاتقِ في شفتيكِ.
نحتسي فنجانًا مشتركًا
من القهوةِ، نغني للعقدِ:
"طق طرق يا بن
القهوة بن ومزاج"،

ومن ثم نركضُ مسرعين
هاربين من جحيمِ هذه البلاد،
قاصدين مدنَ العالمِ العتيقة،
وبينما نحن في طريقنا،
نجلبُ معنا الكثيرَ من الكتبِ،
الأقلام، وقصاصاتِ الورقِ المبعثرةِ،
والأساور.
وفي مدينةٍ مليئةٍ بالثلجِ
والهضابِ، وعلى حافةِ
كوخٍ ثلجيٍ صغيرٍ مليءٍ بالجمال،
نثملُ كثيرًا من الحكايات،
نرتدي الكثيرَ من الأساور،
نختبئ هناك وننامُ طويلاً للأبد.

آيات السلام أمنيتي

هنيئًا لنا وللموت والأقدار
وللحياة التي صفعتنا باكرًا.
وهنئًا لبذرة الحزن التي
نثرت في أرضنا،
وللأنهار التي تجري في دمنا.
تعالي.. تعالي..
نرتل معًا للموت والأقدار،
والأنهار وللأرض آيات السلام.
نرفع الرايات، نغني
ونرقص،
نصفق ونبكي، ثم
نحتضن جثثنا العالقة في أجسادنا.
نحتضنها في سماءٍ ملوثة
بالدخان وأرض
ملطخة بالدماء، ورائحة
الموت تفوح منها في
كل مكان.
لقد تبدل كل شيء.
الطيور هاجرت أوكارها،

وغردت للأشجار أغنية الوداع.
خلايا النحل خاصمت الأزهار
والندى...
فتيات في أزقة المدن
العتيقة يجابهن القهر،
صغار يحتضنون الموت
باكرًا..
ثكالى يناجون الليل...
يحتسون الدمع
عصيرًا...
ويحيكون الليل ثوبًا للرثاء.

نداءٌ عاجل

أيها الواقفون...
في طوابير الموت،
الغارقون في الدماء،
العالقون في البحار،
وخطر الأمواج.
أيها الجنود
النائمون في الخنادق
القابضون على جمرة
الحب...
النائمون خلف النوافذ
المفتوحة
المسافرون إلى الشواطئ
البعيدة...
أيها الشعراء الباكون
على الورق...
أيها المغنون المقيدون
بالأوتار...
والسجناء المكبلون
بالسلاسل...

أيها العشاق المهزومون
من دقات قلب،
الأطفال المشردين
النائمين في أزقة المقاهي
والبيوت المهترئة.
هَلُمّوا جميعًا...
هَلُمّوا نرسم خريطة وطن
خالٍ من الخيانة،
نشيدها بأحلام الصغار،
نُزخرفها بألوان زاهية،
نكتب فيها بالخط الواضح
"لا للحرب"
وداعًا صوت الرصاص.
نغمرها في ماء النيل،
نغرسها في بقاع
الوطن الحالم،
نسقيها كي تنمو،
ونقطف ثمارها حب الوطن.

مزاد وطن

لقد اعتزلتُ كل شيء
منذ أن باعوا الوطن
في سوق النخاسة،
ووجد العرض قبولاً
من الزناة،
والقابضين
على زناد البنادق،
والجنرالات الحالمين
بعرش الرب.
اعتزلت الحب والغزل،
القراءة والكتابة،
النوم والوسادة،
العزف والغناء.
اعتزلت الحياة وخرجتُ من
أفواه المدافع،
وسكنت الحانات والمقاهي.
هجرت المدارس،
الكنائس، المساجد،
المقاهي والحدائق.

أحببتُ الموت،
بغضتُ الحرب،
عشقتُ السلام،
وبعد أن تعلقت
بالأحلام هاجرتُ مع الطيور،
وفقدت الأمل!
حلَّقتُ مع الحمائم...
لقد باعوا الوطن
في سوق النخاسة
بِأبخسِ الأثمان،
وتركونا مصابين
بداء التشرد..
ونوستالجيا الحنين
إلى الوطن.
وأطفأت رياح الحرب
آخر شمعة أمل فينا،
وأوقدوا شمعة الحزن في قلوبنا.

أُمنيةٌ عالقة

أصوات الناجين من الموت..
تعزف غِيثارة حُزن،
والمآذن تناديهم..
هَلُمُّوا أيها البؤساء
المشردون،
هَلُمُوا أيها الغارقون
في البحار، وهيا إلى
الملاجئ لنخترع لنا أجنحة
نسافر بها إلى السماء،
ونصلي تحت ظل العرش،
نبكي ونُقبِّل يد الرب،
نطلب النجاة،
ونتضرع من أجل
الأرض الجرداء؛
لتزداد أرضنا
خضرة.. وغيوم حبرٍ ومطر.

بين واقعٍ وأُمنية

تعالي حبيبتي نختبئ خلف
أمنية، ونرسم على جدار الموت
ما تبقى من أحلام الصبابة،
نُطفئ حريق الاشتياق،
ونُسكت مدافع الأنين.
أنا طفلك المتيم بالفقد وبالرحيل،
دندني لي بصوتك العذب
الطروب قصائدي على عزف
الجيتار، ولمسة الأنامل الناعمة.
اشتقت إليكِ، والشوق أصعب فصل
من فصول حكايتي.
ليتني أستطيع
حسم معركتي مع الاشتياق،
وعبث المسافة،
ونعود إلى حيثُ كنا،
إلى المقاهي والأزقة، إلى ساحات
الرقص الشعبي،
وشواطئ البحار.
لقد تعبت كثيرًا حبيبتي

من الهيام الذي يأكل
جسدي النحيف بشراهةٍ،
كما تأكل النار عشبًا يابسًا،
وتعبت من رتابة الأيام
المتشابهة التي لا يتغير
فيها شيء غير أرقامها،
تتغير بتضخم هلامي..
ليتني يا حبيبتي أستطيع
قطع المسافة التي تفصل
بين واقع وأمنية،
وألجأ إليكِ ونعود إلى حيثُ
كنا.

درويش يرتل آيات الصبر

وحيدًا،
منتصبًا أمام نافذة
عينيك البنيتين، أُرتّل آيات الصبر
وأتلو أذكار الدراويش،
أرسمك، أغنّيك،
وأكتبك قصيدةً شعرية
ممنوعة من النشر.
وحيدًا،
خلف جدار قلبك
المُمتلئ بالأزهار،
أتسوّل الطُرُقات كالمشرّد،
ضاحكًا تارةً،
وباكيًا تارةً أخرى.
وحيدًا،
ما بين خِصلات شعرك القُرنفليّة،
أتلاعب مع الرياح،
وأنام على رائحة زيت القُرنفل
العاتق فيها.
وحيدًا،

أناجي الله أن أظلّ وحيدًا،
أتسوّل ما بين نافذة عينيك،
قلبك، وخصلات شعرك.
أنا يا أنثى الفراشات،
من ضيّعتِني أنتِ.
أنا يا أنثى النورس،
من نسيتِني أنتِ.
غارقٌ في بحر حُبّك العميق،
أطلب النجاة.
أنا من أخذتِ قلبي، أنتِ،
حين لقاء،
ووضعتِني في كوب عصير،
وشربتِه.
لقد أخبرتني أمّي ذات مرة،
أن قلبي قابل للسرقة
والضياع،
وأن لا أسمح لأحدٍ أن يقترب
ويأخذ منّي أغلى ما أملك.
لكنّي ابنٌ عاق،
خالفتُ وصية أمّي
للمرة الأولى،
حين نظرتُ إليكِ وأنتِ تتسلّلين،

في المساء، كما لصٍّ،
تعبرين طريق قلبي،
الذي أخبرتُ عشرات النساء
بأنّه وعرٌ جدًا.
تعبرينه بكلّ شجاعة،
غير مُبالية بالخطر،
تأخذين قلبي،
ومن ثم تضعينه جوار قلبك،
تغلقين نافذتك،
تخبئين مفتاحك بعيدًا عنّي.
تصنعين أجنحة لكِ،
تغردين كما عصفورةٍ،
وتسافرين بعيدًا إلى السماء.

إلى عمر صالح، الفتى الذي طحنته مطاحن البلاد.. مثلي تمامًا.

لقد أكَلَت منا هذه البلاد
المليئةُ بالفواجع والعقباتُ
أفراحنا باكرًا يا عمرو،
وصنعت منا وجبات دسمة
للذئاب الجائعة.
لقد مزق الحُزن أجسادنا النحيفة
كما يُمزق شاعر نصَّه القديم
الذي كتبهُ لحبيبته الوقحة،
تلك التي نامت في حضن مائة رجلٍ ثري،
وتركتهُ يدخن ويثملُ كثيرًا من القصائد،
ثم يعيدُ بحرقة تمزيق كل ما كتب لها.
لقد سُلبت أحلامنا،
وماتت قصص الكثير منا،
لكننا رغم كل هذا الوجع
ظلَلنا عالقين بشجرة الأمل الطويلة،
نردد مقولة:
هذه الأرض لنا ومنا،

وتشبهنا كثيرًا،
تشبهُنا حين يتعلق الأمر
بحُبنا لها،
لعِشقنا الدائم لترابها،
ونيلها وللجلوس على حافته،
معانقة الأمواج
وذرف الدموع على كتف
إحدى الحبيبات.
نرسم القُبل غير الزائفة
على أوجه الفراشات.
الحنين، يا صاحبي، إلى الوطن،
هو دائمًا الفصل الأول
والقاتل في كلُّ الحكايات.
لقد صرنا نمُوت عدة مرات
في اللحظة الواحدة!
نموت عندما تأخذنا رياح الحنين العاتية،
وترمي بنا في مقبرة الأشواق،
إلى الليالي والأيام
التي لم يعد منها شيء
سوى الذكريات العطرة، الموجعة!
لقد سرق منا الزمن يا صاحبي
لحظات كثيرة..

كُنا نشعر فيها أن الحياة مُنصفة لنا،
وأعطتنا كل ما نملك!
لحظات تقاسمنا فيها معًا
كل ما هو جميل وحزين.
فرحنا حينما تعلق الأمر بفرح أحدنا،
وبكينا حينما وخزت أحدنا شوكة الحُزن.
لا تلمني يا صاحبي على غيابي،
فأنا لم أعد كما كنت.
لقد أصابني الحنين لتلك الليالي،
صرت أبكي كثيرًا
على صفحات الأوراق البيضاء،
أحتضن حزني،
أثمل بالكثير من القصائد،
وأنام على وسادة مليئة
بذكريات حنينٍ قديمة.

لقاءٌ محتوم

يومًا ما سنلتقي حبيبتي،
نتقاسم الاعتراف بحبنا،
ونحتسي كوب قهوة،
نستذكر أشياءنا الجميلة:
القُبلات... العناق...
واللقاءات الصباحية.
يومًا ما سنجلسُ على مقعدٍ واحد،
وأمام منضدةٍ وسط كُوخنا الصغير
الذي رسمناه على جدار حُلمنا.
نضحك... نغني...
ونطعم بالحب بعضنا.
نركض... نتسكع...
نتعانق أمام الملأ.
وتقولين لي:
"اقرأ لي قصيدتي المُفضلة،
يا شاعري العظيم،
لنحتفي بنصك الأخير."
وأقول لكِ:
ما أنا بقارئ،

يا أميرتي الحُبلى
بالحب والنشيد.
أمام حسنك الفريد،
أنا لست شاعرًا مجيدًا،
بل مجرد فتى بدوي
خرج من أوحال الدنيا،
أبحث عن شعر ضائع،
عن أمنية ضائعة،
عن وطن ضائع.
بين عيونكِ وخصلات شعركِ،
أبحث عن مدنٍ ضائعة
في خطوات قدميكِ.
وأبحث عن نفسي
في ذاتك.

مدينة أشباح

على هامشِ مدينةٍ غارقةٍ
في الموتِ والدّمِ
مدينةٌ لم تعرف معنى
الحبِّ يومًا
مدينةٌ تفيق في كلِّ صباحٍ
باكيةً حزينةً،
ومُتلفعةً بثوبِ
الحُزنِ الدائمِ.
على هامشِ مدينةٍ تشبهني
تمامًا، أجلسُ بمفردي على
حافةِ مقعدٍ مُهترئٍ أدخنُ،
وأثملُ بكثيرٍ من الأحزانِ
أسرِقُ نظراتٍ من عيونِ
الصِغارِ الهاربينَ من جحيمِ
الحربِ، ومن الأمّهاتِ
والحبيباتِ الجاثياتِ
في الطرقاتِ يتفقدنَ
جُثثَ فلذاتِ أكبادهنَّ،
وهنَّ يرددنَ بأصواتٍ عاليةٍ

هذا ولدي، هذا حبيبي
هذا لم يكن هو!
هذا هو، ولكن تغيّرت
ملامحه!
أي حُزنٍ هذا يا الله؟
أي وجعٍ هذا يا الله؟
أُهرولُ مُسرعًا نحوهنَّ،
أُلقي جسدي النحيفَ
على صدورهنَّ جميعًا
أحاولُ أن أُوقفَ نزيفَ
دموعهنَّ المنهمرةِ، لكن
دون جدوى، وفي لحظةٍ
ما، إذ بصخبٍ يهزُّ الأرضَ
بقسوةٍ فيزيدُ الجرحَ نزيفًا
وتشبعُ الأرضُ موتًا..
على هامشِ مدينةٍ غارقةٍ
في الموتِ والدّمِ، عذرًا هي
لم تكن كذلك!
هي مدينةُ الأحلامِ
وحديقة الفقراء،
هي أرضُ الأجدادِ،
وبلادُ الشُجعانِ،

هي زينةُ مُدنِ الغربِ..
ولكن سرقوها منا
سرقوها منا حينما قسمونا
إلى مالكِ أرضٍ، وإلى آخرَ لا
يملكُ شيئًا..
سرقوها منَّا حينما دقوا
طُبولَ الحربِ، وهتف آكلو لُحومِ
البشرِ النائمينَ هناك في نعيمِ
الفنادقِ.
هتفوا: هيا إلى الحربِ..
هيا إلى تحريرِ الأرضِ..
فوجد الهُتَّافُ قبولاً
من الذين يريدون
للمدينةِ أن تغرقَ في الدمِ،
فغرقتْ وشبعتْ موتًا
وحاولوا جاهدين
إنقاذها عن طريق
البكاء وطلب يد العونِ،
ولكنهم تأخروا
وماتت المدينةُ باكرًا غارقةً
في محيطٍ من الدمِ.

فتى ثُمِل بفوضى العناقات

ذاتَ ليلةٍ ظلماءَ جدًا حُبلتْ
سماءُ البلادِ بالأحزانِ،
والدخانِ وعويلِ النساءِ
وصخبِ البنادقِ،
زخرتِ الأرضُ بمخلفاتِ
الرصاصِ وشظايا
البَارودِ، واكتظتِ الشوارعُ
بجثثِ الغُرباءِ المنسيين
تحتَ رحمةِ الحرائقِ..
ذاتَ ليلةٍ ظلماءَ جدًا نامتْ
المدينةُ باكرًا على صداحِ
الموتِ والحبيباتِ،
وصخبِ الطائراتِ الحربيةِ
التي تمطرُ وابلًا من القنابلِ
على صدورِ الأطفالِ دونما
رحمةٍ!
ذاتَ ليلةٍ ظلماءَ جدًا عجّتْ
شوارعُ المدنِ بفوضى
طريفةٍ، وكنتُ حينها أنا

وحبيبتي الرصاصةَ الطائشةَ
حبيبتي الدمعةَ المستترةَ
حبيبتي القبلةَ الضائعةَ. كنا حينها
أنا وهي وحدنا نبكي
على ذقاقٍ زاخرٍ بالوردِ،
وبقايا الرصاصِ،
حين تلك اللحظةَ مجردَ
طفلٍ عاقٍ أنفثُ دخائنَ
السجائرِ،
أنقشُ الوردَ على خدودِها
الناعمةِ، وأعزفُ على
جيتارِ قلبِها موسيقى
الحزنِ، وكانت هي مجردَ
قصيدةٍ عابرةٍ
كتبتُها بمحبرةٍ من دموعِها
المُنهمرةِ على أطرافِ قميصي.
كتبتُها وأنا مجردُ فتى
ثملٌ بفوضى العناقاتِ،
كتبتُها وأنا مجردُ قبلةٍ
طائشةٍ رسمتُها على
شفاهِ جبينِ فتى مراهقٍ فردتهُ قتيلاً.

عصافير تعزف جيتار حزن...

في ذاك الصباح الذي بزغت
فيه شمسُ البلادِ مرتديةً
وشاحَ الجمالِ المزيف..
وغنت العصافيرُ حينها
أغاني الحزنِ، وعزفت
على جيتارِ الموتِ
وأطلقت القطاراتُ المهاجرةُ
البلادَ صافراتِ الوداعِ،
وتسابق الناسُ نحو المحطاتِ،
وباتت الشوارعُ خاويةً من البشر
ومشحونةً بالجنودِ المثقلين بالمدافعِ
الثقيلة. علت سماءُ البلادِ
بعويلِ الفتياتِ وصياحِ الصغارِ
وكنا حينها قد أفْقَنا أنا وحبيبتي
من سهرتنا، فوجدنا المدينةَ عروسًا
بِكرًا تصرخُ في أوجهِ جندِ
الوطنِ الضالين الطريقِ.
دَسَستُ حبيبتي في جوفِ
قلبي خوفًا من ضياعها،
وغدوتُ أتسكعُ في

الطرقاتِ غير مُسرِعٍ
ولا مبالٍي بصراخِ الجنودِ
في وجهي. قضينا ذلك
النهارَ الطويلَ فارقنا
صوتَ الرصاصِ.
جثونا على نافذةِ مبنى
عتيقٍ نتأمل حالَ الأشجارِ،
الوردِ،
المقاهي،
الحدائقِ،
محطاتِ القطاراتِ الفارغةِ،
ساحةِ الرقصِ الشعبي،
شاطئِ البحرِ الذي كان مليئًا
بالعُشَّاقِ فأضحى مجردَ شاطئٍ
مهجورٍ، بينما نحن نتأمل
حالنا وحالَ البلادِ. احترقت بنا
تلك النافذةُ فبتنا حباتٍ من الرمادِ
متطايرةً في الهواء.

مسرحية شعرية

مشهد أول حزين
عصفوران على حافةِ الغصنِ،
أحدهما ينزفُ من شدةِ الألمِ،
والآخر يواسيه..
فتاة ذات وجهٍ نقيٍ ك ماء البحر،
وعينين زرقاوين،
وشعرٍ أسود ك سواد الليل،
تجلسُ وحدها على أحد المقاعدِ
الخشبيةِ في محطةِ القطاراتِ،
تدخنُ، تبكي،
تتساقطُ من عينيها قطراتٌ من الدماءِ.

مشهد أول رائع..

فراشةٌ تبتسم وهي على
حافةِ ورقةِ زهرةِ الهدرانجيا.
نحلةٌ تفرز رحيقًا على أزهارِ المانجو.
يرقةٌ تمصُّ عصارةَ نباتِ
زهرةِ الشمس.
فلاحٌ يردِّد أغاني الحصاد
الحنطيةِ وهو يقطف بشغفٍ
ثمارَ اللرينجا التي نضجت للتو.
عاشقٌ يهدي طفلتهِ المراهقة
وردةً من النوع البنفسجي.
وهما يجلسان في الصباح الباكر
على شاطئ البحر.
يردِّدان أغاني العشق لفيروز
ويسرقان قُبلاتِ الحبِّ الشهية،
بينما نورسٌ بحرٍ يحلّق في سماءٍ
رماديةٍ فوقهما.

مشهد آخر حزين

شاعرٌ يجلس على جذعِ نخلةٍ
وحيدًا كفكرةٍ خاليةٍ من البُرهان.
يدخّن بشراهةٍ،
يُخرج من جيبِ قميصه
قُصاصاتٍ من الورق ذات لونٍ أصفر.
يُمزّقها ويلقي بها في البحر.
يركض وراءها، لكنّه يعود خائبًا.
يخرج أخرى من نفس النوع،
يكتب قصيدةً،
يمزّقها...
يلقي بها مجددًا في البحر،
يركض وراءها.
ولكن، هذه المرة،
يختطفه سمكٌ قرشٌ ويذهب به إلى مثواه الأخير.

خطيئةُ وطن

أنا الخطيئة التي خرجت
من رحم وطنٍ بائس،
والتحفت بثوبِ حزنٍ دائم،
ورضعت من ثدي الحروف.
تجسدت فكرًا وقصائد،
واعتلت رفوف المكتبات
العتيقة المليئة بالغبار والأتربة!
أنا فتى صاحب قلبٍ محطم،
قلبٍ ملتهب،
قلبٍ مليء بالخيبات
ومنسيٌ على طاولات المقاهي.
أنا طفلٌ صغيرٌ سرق ابتسامته
من وجه أبيه ذات صباحٍ باكر،
أنا عيلٌ تشرّب الفرح
من وجوه الجدات.
لذلك كتب عليّ أن أفرح وأحزن،
أغني وأصرخ،
أرقص وأركض،
وأنام على أزقة الشوارع

المنكوبة التي نامت مثلي
منذ أمدٍ طويل.
نامت مكتوفة اليدين
وعارية من ثياب الفرح.

غفوة بين غوافل النجوم

لقد رحلتي باكرًا يا صبوحة،
وسلبتِ مني هويتي،
عقلي،
أعياد ميلادي،
وأفراح عمري العشريني.
لقد رحلتِ، وتركتِ في قلبي
آثار الخناجر،
والقنابل،
آثار العناقات،
وضوضاء القُبل،
شذى العطور،
وأنين الجروح.
ألم يحن الوقت يا صبوحة
لتقبلي، ولو مرة واحدة؟
يا صبوحة، وتنثري
بذور الأفراح على
روحي المتهالكة دونك.
أقبلي يا وردة الياسمين
ويا غيمة الروح...

أقبلي يا سكة الأفراح
ويا ربيع الأيام.
أقلبي يا صبوحة ولنلتقي
حتى ولو عند حلمٍ نحتسي
فنجانًا من الفرح،
وآخر من الحزن.
نسير في لب الطُرقات
الخاوية من ضجيج
العابرين، والمسجورة
بضحكات العشاق.
أقبلي يا بدر الكامل، ولنلتقي
عند ليلةٍ نتلبد فيها خلف
كبد السماء، ونغفوا بين
غوافل النجوم.

مدفأة حب

سأغادر هذه البلاد يا حبيبتي
وأنا أحمل ما تبقى من عمري
العشريني في حقيبةٍ
سوداء، معبأة بالقُبل
والعناقات،
والدموع والأحلام،
وقصاصات الورق،
والأدوية المضادة للألم،
وعلب السجائر،
وقناني عطورك الفارغة...
سأغادر وأترك هذه المدن
المستباحة، وشوارعها الغارقة
في الموت، وسأتركك أيضًا
تتقاسمين مدفأة
حبنا مع رجل غريب.
سأغادر وأنا أحمل
أحلامي المشيعة داخل
تابوت خشبي، وألقي بها
في مقبرة من الأشواق المنسية

في فيافي البلاد البعيدة، ومليئة
بجثث الغرباء.
سأغادر هذه البلاد دون وداع
ودون أمل للرجعة.
سأغادرها وأنا حزين،
محطم القلب، حافي القدمين، ومنسي في عتمة الذاكرة.

فتى مصنوعٌ من خيوط العنكبوت

ولأنني فتى هَشّ، مصنوعٌ
من خيوط العنكبوت
والطائرات الورقية
والحزن الطريّ،
أبكي وأفرح لأتفه
الأسباب..
بكيتُ ذات مرةٍ عندما
قالت لي امرأة: أحبك.
فرحت عندما بصقت على
وجهي نفس المرأةِ
ونطقت: أكرهك يا وغد.
ولأنني فتى أعشق النساء، ولكن
قلبي مثل البالونة لا يصلحُ
للحب!
أعشق النمش في أجساد
الصغيرات، وأشمئز عندما أرى
امرأة عارية!
لقد صفعتُ ونبذتُ صغيرةً
ذات مرةٍ عندما أخَذَت بيدي إلى أحد

أزقة المباني، فكّت أزرار
قميصها، وأشارت بيدها
إلى النمش الذي يسكن هناك،
ونطقت: ألم تُخبرني
أنك تعشق النمش؟
نبذتها وبصقت على
وجهها وغادرت المكان مسرعًا،
لأنني فتى أكره أن أنظر
إلى امرأةٍ عارية!
ولأني ثمة فتى يحب الحانات
الشعبية، ولكنَّه يكره
الخمر الذي تقدمه تلك
الحانات للسُّكارى.
فتى يحب التدخين،
ولكنه يُقتَل من رائحة التبغ
المحرقة، ويكره السحاب
المزيف الذي يصنعه دخان
السجائر!
فتى يحب القراءة،
ولكنه يكره النهايات
الحزينة للروايات.
فتى يحب الشعر،

ولكنه يكره الشعراء وقصائدهم.
يمزّق دواوين الشعر التي
اشترها بثمن باهظ.
يمزّقها فقط عندما يجد
شاعرًا يكتب عن امرأةٍ جميلة،
كتب عنها مئات القصائد،
ولكنها كسرت قلبه، تركته
يبكي على الورق.
فتى نقي كالأنبياء،
ولكنه يرتكب الخطايا
ويصير وحشًا في لحظة.
فتى مسالم كالعصافير،
ولكنه يخبئ نبله في
جيب قميصه ليصطاد بها صغارها.
فتى يحب رائحة الصندل
والبخور التي تعبق ليلاً،
ويعشق أحمر الشفاه
وكحل العينين في وجوه
العرائس، ولكنّه رفض
مئات المرات عرض والده
عليه بالزواج، لأنه فتى يكره
دموع العرائس البكر.

تباريح حُزن

نساءٌ عند الرابعةِ صباحًا
يتسابقن إلى باصات النقل
العامة..
وعلى الرصيف المقابل لهن
أطفال على متن
مركبات نفايات يصارعون
وحدهم، يحملون
بقايا النفايات بعضلاتهم
التي لم تنضج بعد.
وعلى الرصيف المقابل لهم
أيضًا، طفلة تبدو أنها في السادسة
من عمرها، ترتدي ثيابًا مُمزقة،
تجثو عند بوابة مدرسةٍ ما
تبكي ولا أحد يواسيها.
وبالقرب منها، طفلة في نفس
عمرها، تهبط من عربة
مرسيدس فخمة، مرتدية
ثياب إحدى المدارس العالمية،
تُلَوّحُ بيديها الناعمتين لذلك
السائق الوغد الذي صرخ

في وجه تلك الصغيرة عندما
طلبت منه بضع جنيهات.
وهناك في أرصفة أحد الشوارع
أطفال مشردون يتخاطفون
قطعة خبز،
يتخاطفونها أمام مباني
المفوضية القومية
لحقوق الإنسان والطفل،
وآخرون بالقرب منهم مشردون
منسيون من السجلات المدنية،
وآخرون حفاة عراة
ينامون على الأسفلت
يتعاطون المُسْكِرات،
يُدخلون في أفواههم الصغيرة قطعًا
من الأقمشة. وعلي الرصيف
المقابل لهم، رجل
يرتدي بدلة فخمة، وفي انتظاره
أوغاد يتسابقون لكي يفتحوا له
باب عربته، وآخرون يصرخون
في وجوه الأمهات العاملات
أن يبتعدن من الطريق.
هناك، على متن المباني العتيقة،

صبيان في ربيع شبابهم
بحوزتهم شهادات جامعية
يحملون الحجارة، متسخو الثياب
وغارقون في بحار اليأس.
وآخرون على متن المراكب
البحرية يلاقون مصرعهم في
المحيط.
على الرصيف المقابل لهم
أبناء الطبقات العليا
يرتدون الماركات الفخمة،
يسافرون ويتجولون على
شواطئ المدن العتيقة،
يشغلون المناصب
المرموقة في البلاد،
يشيّعون جثامين المؤسسات
ليلقوا بها في مقبرة الشعب الجماعية.

دون عنوان

عند أحد أزقة المدن الشاسعة
تخرج طفلة من بوابة مبنى
عتيق، وجهها أبيض نقي
كالماء في البحر.
ضفائر شعرها ممشّطة
بإتقان، ترتدي حذاءً من النوع
البرجوازي، تركض نحو بوابة
أحد المقاهي الفخمة
متبخترة، تُعانق
الصغيرات اللائي مثلها.
بينما هناك، عند بوابة ذلك
المقهى، طفلة تحمل على رأسها
صينية مليئة بالتسالي،
حافية القدمين،
تُعانق دفترًا صغيرًا لها، يبدو
أنه منشول من أحد أكوام
النفايات، وبحوزتها نصف
قلم من الرصاص.
تحتضن حقيبة سوداء لها،

حقيبة مغطاة بجدار
من الأتربة والغبار.
تنظر إلى أوجه الصغيرات
اللاتي يوزِّعن القبل على
بعضهن البعض،
تترصد أوجههن الناعمة
والمغسولة بقبل الأمهات
الصباحية، وإلى ضفائر
شعرهن المتقنة بحرفة،
وإلى حقائبهن الملونة الجميلة.
فإذا بحقيبتها السوداء
المحشوة بالخبز وقطع من
الأساور، وقدماها الحافيتين،
ووجهها الحزين الذي لم تغسله
في الصباح، ولم تزل عنه
أثر النعاس، يخيبان ظنها.
تجثو عند بوابة ذلك المقهى،
تبكي بحرقة، ومن ثم تذرف
من عينيها الزرقاوين
قطرات من الدم.
تمزق دفترها الذي تعانقه
ورقة تلو الأخرى.

تخرج قطعة خبز من
حقيبتها، تلتهمها بشدة
كما ذئب يلتهم فريسة.
ثم تلقي بالحقيبة
في أحد أكوام النفايات.
تغادر المكان مسرعة، خائبة،
ومحمولة بشظايا الحزن.

عابر سبيل يكتب بمحابره حزن

تقولين: لي أكتب، فإن الكتابة
هي النجاة الوحيدة لنا.
ولكن ماذا أكتب؟
عن الحزن القابع في داخلي
منذ أمد بعيد،
عن الطفل الذي مات فيني
باكرًا.
عن الوطن الذي أصبح مشغولًا
بتوزيع تذاكر الموت،
وتركني عالقًا
في شجرة حزنه الكبيرة.
عن النساء الجميلات ذات
الوجوه السمراء،
والعيون البنية،
والخصلات القُرنفليّة.
عن النساء الجميلات ذات
الوجوه الصفراء،
والعيون السوداء،
والخصلات القُرمزية.

عن ماذا أكتب؟
عن نساء لا حاجة لهن
بالقراءة والكتابة، ولا يعرفن
معنى للحب والغزل، ولكنهن
يبكين كثيرًا عندما تخبرهن عن الشعر
والحانات والمقاهي الليلية.
ويضحكن كثيرًا عندما
تقرأ لهن قصيدة
كتبها أبو نواس.
عن ماذا أكتب؟
عن الحزن الطري الذي أكل
جسدي النحيف بشراهة،
عن الأوطان المُغتصبة.
عن الساسة لاعقي الأحذية.
عن الأنهار الجارية
والحقول الجافة.
عن الأراضي الخضراء،
عن الشعوب الجائعة.
عن ماذا أكتب؟
عن وجعي،
عن حزني،
عن أمي وحبيبتي.

باقة ورد

باقة ورد لنساء نصبن
لنا مشانق موت،
ورسمن على جباههن
قبلات زائفة.
باقة ورد لنساء
خُلِقْن لهزيمتنا فقط، حين
باقة ورد للجميلات
ذات الخدود الناعمة،
الشعر الكثيف،
القوام الرفيع،
والأقدام المُبتهجة،
والخصور الشهية،
والنمش الذي يسكن هناك.
باقة ورد لنساء باردات
كالثلج في لحظة الغياب،
وساخنات كالهيب
حين اللقاء.
باقة ورد لنساء علمنني
كيف أسهر،

كيف أغني،
كيف أكتب،
وكيف أفرح.
باقة ورد لنساء أطلقن سهام
عيونهن الفتاكة عن قصد،
فأصابت قلوبنا،
ورفضن نزعها.
باقة ورد لنساء
قبضن على أيدينا،
شققن بنا الطرقات إلى الحانات،
الليلة ثملن معانا بكثير
من الأشياء السخيفة،
ومن ثم وجهن لنا
ضربات موجعة، وغادرن
دون كلمة وداع.

سارق نمش

وسط حقول القمح الواسعة
التي مثل بحر أبيض
لا شاطئ له، كنا هناك، مجرد
سنابل صغيرة مخبأةً في ضفائر
الفلاحات المحملة رؤوسهن
بحبات البندورة والمعتقة،
أجسداهن بروائح الخضرة،
ومياه الترع، والملطخة أيدهن
ببقايا عجين الخبز وطين
الحقول اللزج، وأثر جراحة
المناجل.
كنا هناك مجرد باقة أزهار
حمراء نختبئ بين فروع
القمح الهشة لكي ننجو
من تحرش الفلاحات بنا،
ومجرد فراشات نختبئ وندس
أجنحتها بين حمالات
الصدور وننام طويلاً
خشية أثر المبيدات الطائرة

في الهواء.
نحن يا حبيبتي الذين كتبت
أسماؤنا بأقلام الرصاص
في دفاتر حضور الموتى
القادمين وكتب لنا أن نعيش
مخبئين، أجسدنا النحيفة
في حقائب المسافرين
لكي نعبر بوابات التفتيش
خشية اتهامنا بسرقة النمش
من أجساد الفتيات
المراهقات.
نحن الذين طردتنا الحانات
باكرًا وأغلقت أبوابها
في وجوهنا، واتهمتنا محاكم
العدل بسرقة القلوب.

خطيئةٌ من شهوةٍ عابرة

علي أزقة محطات القطارات،
تجثو طفلة بفستان أسود،
مُمزق من كل الاتجاهات،
ومُحاك بإبرة خياطةٍ،
يشير إلى حداد عقلها،
أعلنته مبكرًا،
دون أن تعرف القتلى
في نشرة الأخبار العاجلة.
طفلةٌ تنام،
توسَّدَت مدفأةً،
تفوح منها رائحة العرق،
الممزوجة بعطر الطفولة،
والمُعتقة برائحة الأمهات المفقودة.
تعمل على تمشيط ضفائر شعرها،
تتقن التضفير كما عجوز قروية
أمضت الزمن في المهنة.
تخرج من حقيبتها السوداء نصف مرآة،
تنظر لوجهها البائس،
والخدش بأظفار الصغيرات،
وجروح الطفولة المشردة

ترسم ابتسامة صفراء
على شفتيها الصغيرتين،
اللتين لم تحظيا بقُبلاتٍ
من الأقارب في الزيارة غير المُعلنة.
ثم تمسح بها وجهها،
من خطايا أمّها،
أنين شهوةٍ عابرة،
وتضمد جروح البلاد
نيابة عن الصغار
المجرومين في أكوام القمامة،
المنسيين في دار الإيتام.
تزيل أثر القُبلات الكاذبة،
المُسربة عن طريق الحبل السري،
قُبلاتٍ رسمها وغد على خدّي أمّها
باسم الحب،
لكنها تسربت إليها عن الخطأ،
قُبلاتٍ قدَّمها صيادٌ ماهر
لأمّها الطفلة المراهقة،
التي لا تعرف مواعيد الحمل
ولا مدة جاهزية قناة فالوب.

بلادٌ خانت عهودها

لا تسألوني، أيها القوم عن حالي،
وحال هذه البلاد التي خانت
عهودها معي، ولكن اسألوا
العصافير عن لون السماء،
والأرض عن عدد قطرات
الدماء السائلة،
والمقابر عن عدد الموتى،
والمستشفيات عن عدد
حالات القتل في الساعة الواحدة.
اسألوا حزني القابع في
جسدي، ويُقطم منه كما
يُقطم طفلٌ قطعة تفاحة.
اسألوا القلوب المحطمة،
الدموع الجافة،
البيوت المهدمة،
الحدائق المحترقة،
الأحلام،
القصص التي ماتت باكرًا،
والشمعات التي كانت

بالأمس مضيئة.
اسألوا الصغار عن لذة
فقد الأحبة،
والكبار عن لون الحزن،
والثكالى عن مرارة محاكاة
ثوب الرثاء،
والأرامل عن مناجاة الليل
لوحدهن.
اسألوا الشوارع الغارقة
في الدماء،
والنساء المقهورات،
والمحطمة قلوبهن،
واللائي يعدن في أصابعهن
ضحايا القتل في الأشهر الحبلى
بالأحزان.

ليتك لم تطرقي باب قلبي يومًا

أيتها الوردة المُزخرفة بلون
الطيبة الباهي، والمعلقة في
جدران حدائق المدن العتيقة،
أيتها الطفلة المدللة المشاغبة،
والأنثى الناضجة كما فاكهة
وسط حقل، عانقيني،
عانقيني، وخبّئيني داخل
جداول صدركِ المليء
بالدفء والحنان.
عانقيني عناق مفارق،
قبل أن يسرقوكِ مني
كما سرقوا أحلامنا الطفولية.
لقد بتُّ هذا المساء وحيدًا،
بعد أن خذلني الأقرباء،
والغرباء خذلوني،
وغادروا المكان، تركوني
وحدي، لم يبقَ لي أحد
يتقاسم معي حزني،
سوى رائحة عطركِ الفواحة،

التي تعبق في ذلك المقعد
الخشبي، وابتسامتكِ الطفولية،
وعناقاتكِ الماضية،
ولحظة بكائكِ على صدري،
وجنونكِ الليلي الذي يراودكِ
بقطع المسافات من أجلي،
ولمسة يدكِ الناعمة،
ونظرات عينيكِ الخضراوين،
وخصلات شعركِ السوداء.
هي وحدها، كل هذه الجماليات،
يا أنثى النورس التي
لم تخذلني، وظلت عالقة في
جسدي، لكنها باتت عاجزة
عن محو لحظة حزن من
حزني هذا.
ليتكِ، يا أنثى، لم تطرقي
باب قلبي يومًا،
ليتكِ لم تعانقيني يومًا،
ليتكِ لم تبللي قميصي
بدموع عينيكِ،
ليتنا لم نلتقي...
ليتنا لم نولد...

ليتنا كنا عصافير مهاجرة
حين أول عناق لنا،
حملنا أحلامنا وغادرنا
هذه البلاد التي قتلت
رغبتنا في العيش.
ليتنا لم نولد بعد.

رغبة بكاء

بعد غياب طويل،
سألتكِ ذاتَ مرةٍ، وأصابعُ يدكِ الناعمةُ
كملامسِ الفراشةِ حبيسةِ يدي،
أي نوعٍ من القصصِ هذه القصة؟
وأي حكايةٍ من الحكايات نعيشها؟
حكايةٌ منذُ بدايتها لا أثر فيها
سوى الدموعِ الفتية،
حكايةٌ أشعلت نارها دمعةٌ
سقطت ذات مساءٍ من عينيكِ الكحيلتين
على طرف قميصي،
فأجبتِ: "وأنتِ تسقطين دمعةً أخرى،
دعكِ من تلك القصة، وأصغي إليّ
لكي أحدثكِ عن تلك الفوضى التي سببتها لي،
وعن جنوني ورغبتي الملحة للقائنا
وعبور شوارع المدينة المليئة بالخراب.
دعني أحدثكِ عن شغف الجلوس معكِ
عند الثانية صباحًا على عتبة باب منزلنا،
وعن خارطة أحلامنا البعيدة
التي علقت بجدران قلوبنا.

قلوبنا تمائم الجدات المعلقة في رقاب الصغار،
قلوبنا التي وهبناها لحب هذه البلاد
التي خانت عهودها معنا،
ورمت بنا في مقبرةٍ شاسعة
تسكنها ملايين من القلوب
التي أكلتها ديدان الأرض."

ضيف زائر في الحُلم

كيف حالكِ؟
وأنتِ تتوسدين صورتي القديمة
وتحضنين أحد كتبي المفضلة
التي أهديتها لكِ.
كيف حالكِ؟
وأنتِ تعبثين بالأساور،
قصاصات الورق، والشامة
السوداء المرسومة على خدكِ؟
كيف حالكِ؟
وأنتِ حبيسة الحرب حولين كاملين،
والرعب يسكن قلبكِ
عند كل لحظة تسقط فيها طائرة،
أو يغاد قذيفة لها،
تقومين مهروِلَةً، تقطعين بحار
الخيال والطرقات،
محاوِلَةً بجهد الوصول،
ولكنكِ تعودين خائبةً مثلي.
عزيزي، مساء الخير لك وحدك،
ولا عزاء لبقية الرجال
في هذا العالم!

دعني يا سيدي أن أُدَون
لكِ اعترف، وللمرة الأولى،
أتدري منذ أن وقعتُ في
بحر حبكِ العميق لم أكن
بخير؟
هناك حالة واحدة فقط
أكون فيها بخير، هي عندما تبيت
يداي أسيرة بين يديكِ، وأسمع
ذبذبات صوتُكِ تعزف على
جيتار قلبي، عندما تنطق
أُحِبك بعظمة.
لقد حالت الحرب بيننا، ولكنني
ألتقي معكِ عند كل سجدة،
عندما أبيتُ أناجي الليل
وأدعو الرب أن لا تخدش
الأيام شيئًا فيكِ،
وأن تأتيني حتى ولو ضيفًا
زائرًا في الحلم.

لصةٌ بارعة

إلى الفتاة التي تمتصُّ
أحزاني بنبرةٍ من صوتها،
كما يمتصُّ سرب الجراد
الحقول الخضراء.
الفتاة المصنوعة من أفراح
هذه البلاد العابرة،
والمنسية تحت ركام البيوت
المهدمة.
الفتاة الطرية كما العجوة،
والهادئة كما موسيقى النهر.
الفتاة التي تشبهُ قطرة الندى
وهي تعانق أزهار اللوز
في الصباحات الباكرة.
الفتاة التي تشبهُ الصباحات
المعطرة بروائح
العشاق، والمساءات
الدافئة بأحضانهم.
إلى اللصة والسارقة البارعة
التي تسللت إلى قلبي حين غفلة

مني، وسرقته كما يسرق لصوص
البلاد الأحلام!
إلى العصفورة التي تغرد
فوق أشجار الزيتون،
وحمامة السلام المحلقة في سماء
البلاد الغارقة في دخان البارود.
إلى السنبلة الخضراء في حقول القمح.
إلى أمنية فقط،
أمنية الأدب،
أمنية الشعر،
أمنية القصائد المنثورة
في أجساد الشعراء
والممنوعة من النشر
من قبل الدور وحكام البلدان.
أمنية الحرب والسلام،
أمنية الفرح العابر والحزن الدائم.
أمنية سيدة النساء وكل النساء.

فوضى حنين

الحنين يا حبيبتي هو ذاك الشعور
الوحيد الذي يكبلني بقيوده
ويقتادني إليكِ!
يقتادني إليكِ وإلى الكتابة
عنكِ كما يُقتاد السجناء
المكبلين بسلاسل الحديد
إلى زنازينهم...
الحنين يا حبيبتي يقتادني
إليكِ وإلى لحظاتنا المليئة
بالفوضى والجنون
ولقاءاتنا الحميمة التي نتقاسم
فيها أحزاننا...
الحنين إليكِ وإلى طاولات
المقاهي التي نرسم
فيها أحلامنا بأقلام من
الرصاص...
وإلى تلك الكلمات الحانية التي
تدق مسامير الفرح في قلبي
وإلى تلك القُبَل الطائرة التي ترسمينها دون مقدمات على خدي.

أحن إليكِ وإلى لمسة أصابع
يدكِ الناعمة التي تمسحين بها كل أوجاعي...
ليتنا في آخر لقاء لنا قبل رياح
الحرب بكينا كثيرًا!
بكينا على طاولة ذلك المقهى
التي تحولت إلى حبات رماد
وأَخَذتها ريح الحروب العاتية
وسافرت بها إلى حيث اللاشيء!
ليتنا رسمنا الكثير من القبل،
وارتوينا بالكثير من العناقات!
ليتنا ركضنا في الشوارع المليئة
بضجيج الباعة
وعانقنا كل ما هو جميل:
الورد والأساور،
الأقلام والورق،
الكتب والمجلات،
أشياءك المفضلة،
قطع الحلاوة التي تحبين،
الفساتين ذات اللون العنابي
التي تعشقين،
الأحذية الرمادية التي صممت
خصيصًا لقدمك فقط.

ليتنا خبأنا بعضنا البعض
داخل حقيبة مليئة بالورد
فصرنا وردة جورية.
ما زلت حتى الآن داخل تلك الحقيبة المرمية تحت سقف مبنى
مهترئ، تزهر وتقاتل
من أجل البقاء.

قتيل بين ذراعي طفلة

عيناكِ يا صبوحة، قيدتا قلباً كان حُرًّا،
ولُغتهما أخرست لسانًا كان ناطقًا.
نيران حُبكِ المُشتعلة أحرقت حقلاً كان أخضر.
لقد أهديتكِ يا صبوحة،
قلبي وعقلي،
وما تبقى من عمري العشريني،
وتمنيتُ كثيرًا أن تصبح حكايتنا هذه
قصة عُمرٍ وبيتًا دافئًا
نتقاسم فيه أشياؤنا الجميلة:
القُبل، والعناقات الطويلة.
لقد تمنيتُ أن تصيري
قصيدة مكتوبة بمِحبَرةٍ من الفرح،
ومُعلّقة في جدران غرفةٍ
مليئةٍ بالأساور وقطعٍ من الحلاوة.
لقد تمنيتُ عناقكِ يا صبوحة،
والنوم طويلًا بين جداول صدركِ الدافئ.
تمنيتُ أن أستيقظ كل صباحٍ على صوتكِ الشجيّ،
أن أستيقظ وجسدي عابقٌ
برائحة عطركِ المُفضل.

لكن لا أدري ما الذي حدث،
وحوّل حكايتنا إلى سهامٍ
أُطلقت في منتصف قلبي،
فمزقته إلى أشلاءٍ وأردتني قتيلاً.

حسناء تزرع الورد في الطرقات

إلى سعاد، قادم الطفلة التي تحمل في
طَيِّ قلبها أحزان هذا الوطن،
سعاد بذرة مدينتنا الصالحة
التي خُلِفَت من رحمها الفاسد!
هكذا أسميتكِ يا سعاد حينما
رأيتكِ أول مرة، وأنتِ تكفكفين
دموع الأمهات،
تمسحين آثار البارود من أوجه الصغار،
تشطفين الشوارع،
تتقدمين صفوف صبية باهِتي الملامح،
غارقين في الدماء،
مشحونين بعبارة الأمل التي أسقيتهم،
تزرعين الورود،
تدندنين أغاني السلام بصوتك الشجي الذي يغدو..
راية نصر تهزم أصوات المدافع
وزغاريد النصر المزيف.
صُدفة يا سعاد، سرقت نظرة من عينيكِ
رايات السلام البيضاء،
وأنتِ تجلسين على زقاق زاخر بالبارود،

مفعم بفارغ الرصاص وبقايا قناني البيرة،
تذرفين دموعك الباهظة،
تذرفينها وأنتِ تلملمين
أطراف جثة طفل ضحية قذيفة طائشة!
صُدفة أخرى سرقتُ نظرة أخرى من وجهكِ الباسم
وأنتِ تخاطبين جمعًا من الصبية،
وترسمين ابتسامة نصر تقضي
على لوحة الأحزان المُعدة على وجهك!
ابتسامة تغدو حُقول نعناع
يفوح عبيرها مُعانقًا أجسادنا
القابعة في رماد الحرائق.

هذا النص مهدى إلى روح الفقيد موسى جويد الذي مات وهو يعانق أثواب الحرية

إليكَ أيها الخنجر المسنون
الذي غُرس في طيّ قلبي،
وشطره إلى نصفين،
والرصاصة الخائنة
التي استأصلتني مرات
ومرات عدَّة
ها أنا يا صاحبي في بعدك
أجر أذيال الخيبات،
وأحيك أثواب الرثاء،
وأقيم صوانات العزاء داخلي..
ها أنا أكتب لك القصائد سرًا،
أجهش بالبكاء لك وحدي،
أنشد لك الأغنيات،
أثمل لك بكثير من الحكايات،
بكثير من القصص،
بكثير من الذكريات،
لقد أطلعتني ذات مرةٍ يا جويد

بأننا مجرد أحرف مكتوبة
على فيافي البلاد تمحو آثارها
أول عاصفة ريح هبت عليها!
وأننا مجرد أُغنيات سخيفة نسمعها لحظات
ومن ثم ننساها للتو!
وأننا مجرد بيوت تحتضن
قاطنيها بحنو
ولكنها تعاقب بالهجران
في يوم ما..
هكذا يا جويد شيعتنا، ولكنني
هزمتك برصاصة الحبّ،
وأخبرتك بأننا لسنا مجرد أغنيات فقط
إنما نحن ألحان يا جويد،
تظل تعزف في صوانات
الأفراح والأحزان،
وقصائد تظل تحفظ على
ظهور القلوب،
وحبال ودّ متينة معلقة في
رقاب الأمهات،
والعمات،
والخالات،
والجدات،

وتمائم حبّ يا جويد،
معلقة في رقاب
الأطفال،
والرفاق،
والفتيات،
تمائم يا جويد، يمنع نزعها من ذويها
إلا بعد أن يرقد طريح الموت.
أنا لا أرثيك يا جويد لأن
الأوطان يا صاحبي لا ترثى
ولا تموت،
الأوطان يا جويد،
يجب أن تبقى للأبد مهما كان
الجرح.
أنا لا أرثيك ولا أبكيك،
أنا أخلدك فقط لأن أجدادنا
أوصونا أن البكاء ورثاء
الشجعان عيبًا.
نم يا جويد قرير العين
إلى أن نلتقي بك هُناك حيث
النعيم الأبدي..
نم لأن هذه الحياة لم تكن
منصفة لنا!

هذه الحياة كلعبة الشطرنج
ستستمر عجلتها رغم الهزائم
رغم الوجع..
رغم الشرخ..
رغم مرارة الفقد!
لقد أوجعني رحيلك
يا جويد، ولكن الذي
يوجعني حقًا أنه
غدًا ستقف هذه الحرب
اللعينة، وسيتصافح الساسة
ويتقاسمون..
غدًا ستفتح الجامعات،
المقاهي،
الحدائق،
المدارس،
البنوك أبوابها مجددًا...
غدًا سيضحك الناس كثيرًا
على ضفاف النيل، ويبكون
كثيرًا أيضًا...
غدًا سيجتمع كبار الساسة
على طاولات في غرف
مغلقة ويخدعون الشعب،

يضحكون ويرقصون على
جثثكم ويرددون شعاراتهم المُخادعة،
ومن ثم يحقنون الشعب بمسكن
الأمل!
غدًا يا جويد، سيعود كل شيء
كما كان وربما للأفضل، ولكن من
يعيد لنا الرفاق يا جويد وضحكاتهم؟
من سيكون ونيسًا لأمهاتهم
في الليالي الظلماء؟
من يحقق حلم النساء اللواتي
رسمن معهم خارطة أحلامهن؟
من ومن يا جويد؟!
ألم أقل لك ذات يوم يا صاحبي
أن كل شيء فوق؟
هذا العالم غير عادل!
لو كان عادلاً لما هُدرت
كل هذه الدماء عبثًا،
ولما كان كل هذا الخراب
والدمار حل بنا!
لو كان هذا العالم عادلاً
لما ماتت قصصنا باكرًا يا جويد،
وجفت دموع حبيباتنا من أثر

النياح..
لو كان عادلاً لعانقنا بعضنا
البعض، وسافرنا إلى مثوانا
الأخير معا.
آه يا جويد من هذا الرحيل المبكر،
وآه من الوجع،
والألم ومرارة الفقد،
لقد قتلوك يا جويد!
لقد غدروا بك بتلك القذيفة
الصاروخية عندما عجزوا
عن مواجهتك،
لقد قتلوك يا صاحبي ولكنهم
لم يقتلوا الثورة،
قتلوك ولكنهم لم يقتلوا صوتك،
قتلوك ولكنهم لم يقتلوك،
فقط هم يا جويد غدروا بجسدك
وعجزوا أن ينزعوك منا.
لقد غدروا بك يا جويد وشيعوا روحك
إلى مثواه الأخير، ولكنهم هزموا
ولم يستطيعوا أن يمحوا
تلك العبارات التي نطقت بها،
وأنت غارقٌ في بركة من

دمك السائل على أحد الطرقات،
وجسدك كان حينها تقاسمته
تلك القذيفة الصاروخية الخائنة
التي غدرت بك!
قلتها حينها وأنت تقبض
أنفاسك الأخيرة..
الوطن.. الوطن.. الوطن
يا رفاق الوطن الذي دفعنا ثمنه،
نحن اليوم أحرص عليه
من أي وقت مضى، ولا يهمنا
قول القائلين ولا شتائم الشذاذ
المأجورين ولا كيد الخائنين.
ماضون على الدرب ونحن
مؤمنون بقضيةٍ،
مضى عليها الرفاق وواجهوا
كتائب الإرهاب!
أقبلوا علينا من حيث تستطيعون
فلن يرهبنا شيء بعد اليوم،
والموت الذي تفرون منه
نحن نبحث عنه،
فأرواحنا رخيصة مقابل أن
نصل إلى دولة تستوعبنا جميعًا،

بلا تفرقة أو تعال.
نحن قاتلنا يا رفاق
لأجل وطن واحد،
غربًا حتى الجنينة إلى آخر
قرية في الشمال ودفعنا ثمنه غالي،
فمن يريد سودانًا يخصه
فليدفع الثمن كذلك، إن استطاع.
هكذا قلتها يا جويد وزخرفتها
بالشهادة، ومضيت
في ذلك الطريق الذي كنت دائمًا
تُحَرّضني عليه.
مضيت يا جويد ولكنك تركت
في قلبي ندوبًا لم يمحوها الزمان.

شكر وعرفان

الشاعرة المتميزة: إلهام عربي.
والأستاذ: أحمد بكشة بلة

المحتويات

الإهداء..... ٥
السيرة الذاتية ٧
بلادٌ مُغرمةٌ بكنس الأحلام من صدور حامليها ٩
إلى أسعد، الطفل الذي مات وهو ضاحكٌ لرصاصة موته..... ١١
بلاد تُرضِع صغارها من ثدي الحروب ١٥
قلبٌ زاخرٌ بالأوجاع ١٨
إلى هديل الحرب في البلاد ٢١
بلادٌ عاريةٌ ٢٤
ثمرةُ نصرٍ مزيفةٌ ٢٦
جُنْحَة تأديب ٢٨
إلى البنت ريو التي تستلف منها الفراشات مناظرها ٣١
شوكة الحزن ٣٣
طفل يتهجد في حضن أمه ٣٥
ذكرى لظلّ قديم ٣٧
صبيٌّ رديء الحظ ٤٠

حُلم يغوص بأبعاد ثلاثية المدى ٤٢
فضيحة ٤٥
تميمةٌ عُلّقت بجدران قلبي ٤٨
لذّةُ عَويل ٥٠
صرخةٌ حسناء ٥٣
لذة فراق ٥٥
نشوة لقاء ٥٧
آيات السلام أمنيتي ٥٩
نداءٌ عاجل ٦١
مزاد وطن ٦٣
أُمنيةٌ عالقة ٦٥
بين واقعٍ وأُمنية ٦٦
درويش يرتل آيات الصبر ٦٨
إلى عمر صالح، الفتى الذي طحنته مطاحن البلاد.. مثلي تمامًا. ٧١
لقاءٌ محتوم ٧٤
مدينة أشباح ٧٦
فتى ثُمِل بفوضى العناقات ٧٩

عصافير تعزف جيتار حزن... ..... ٨١
مسرحية شعرية ٨٣
مشهد أول رائع.. .... ٨٤
مشهد آخر حزين ٨٥
خطيئةُ وطن ٨٦
غفوة بين غوافل النجوم ٨٨
مدفأة حب ٩٠
فتى مصنوعٌ من خيوط العنكبوت ٩٢
تباريح حُزن ٩٥
دون عنوان ٩٨
عابر سبيل يكتب بمحابره حزن ١٠١
باقة ورد ١٠٣
سارق نمش ١٠٥
خطيئةٌ من شهوةٍ عابرة ١٠٧
بلادٌ خانت عهودها ١٠٩
ليتك لم تطرقي باب قلبي يومًا ١١١
رغبة بكاء ١١٤

ضيف زائر في الحُلم ١١٦
لصةٌ بارعة ١١٨
فوضى حنين ١٢٠
قتيل بين ذراعي طفلة ١٢٣
حسناء تزرع الورد في الطرقات ١٢٥
هذا النص مهدى إلى روح الفقيد موسى جويد الذي مات وهو يعانق أثواب الحرية ١٢٧
شكر وعرفان ١٣٥